ترتيب الحدود في منطق أرسطو ، مقاربة تاريخية في أصولها ووظيفتها

بن بوهة أحمد
جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس
شعبة الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

بسط أرسطو نظريته في ترتيب الحدود فيثنايا كتبه المنطقية والفلسفية ، و كانت بمثابةالعمل الإجرائي في حقل الفلسفةو العلوم ، ويعود هذا إلى القيمة التنظيمية التي قدّمتها هذه النظرية في علوم ذلك الوقت وحتى في عصورنا الحالية ، و نظرا أيضا للبُعد الفلسفي الشامل الذي تُقدمه الحدودفي نقل و دراسة حيثيات الوجود ، سواء تعلقت هذه الدراسة بماهية الوجود و جواهره أو تعلقت أيضا بدراسة أوصافه الخاصة و العرَضية .

عرَض أرسطو موضوعالحدود من خلال عمليات التصنيف خاصة في كتاب "الطبيعة " وكتاب ما "بعد الطبيعة "و كتاب "المقولات" وأيضا كتاب "الجدل "، وهي مشاريعبالمجمل تتناولو بالطريقة العلمية–حسب ذلك الوقت– موضوع الوجود أو الطبيعة ،كما بسطت أيضا الطرق التجريبية والمنطقية في ترتيب تشخيصات هذا الوجود الفردية وأجناسه وأنواعه، وبالمقابل سَطّرت قاموسا في تصنيف مفاهيمه وحدوده اللغوية المُعبّرة عن طبيعته وعن خصائصه، و في سياق نظرية ترتيب الحدود وجذورها المنطقية و الفلسفية،يتوجه موضوع بحثنانحو دراسة مقاربة وتاريخية ،تحاولا لإجابة على سؤال مركزي هو: ماذا تعني نظرية ترتيب الحدودعند أرسطو؟ ثم كيف تشكّلت– هذه النظرية تاريخيا في أعمال أرسطو؟ وماهي وظيفتها وأهميتها المعرفية و الإجرائية الفلسفية ؟

تُمثل العمليات الترتيبية عموما و عملية ترتيب الحدود خاصة * أحد الوظائف العقلية العُلْيا التي جُـــبِلت بها العقول البشرية بالفطرة ، مع تسجيل وجود فروق هامة و تفاوتات كبيرة بين عقول البشر ، تفاوتات في القدرة على تنظيرو تقعيد مفرزات هذه العملية و عَرْضها في شكْل{ XE "شكل" } مفاهيم و تصوراتو ربطها على أساس نُظُمٍ و علاقات عامة ، تصل إلى درجة القوانين و النظريات ، لذلك تُعتبر عملية ترتيب الحدود و تصنيفها أحد وظائف العقل التي هي بمثابة عملية لإعادة تشكيل الوجود و إبراز قوانينه التي تتناغم في هيرمونيا مع قوانين العقل و التفكير ، فالأشياء –على حسب هاملان Hamelin– تتركب أو تنشأ من خلال عملية فكرية تتمثل في إنشاء العلاقات ، فَوَضْعُالعلاقات إذن هو أساس صناعة التفكير ،و عليه يمكن استخلاص قاعدة رابطة بين نظام العلاقات و بين الوصول إلى الحقائق المعرفية، تتمثل في وصْفٍ تَرَابطي سببي بين إنشاء العلاقات وربط أنسجتهاو بين الوصول إلى الحقائق المعرفية ،و يكون هذا الربط موضَّحًا وفق العبارة التالية"أن الحقيقة الصحيحة... هي العلاقة La réalité vraie...c'est le rapport " ، ثم ما يَلْحق مضمون هذه العلاقةو محتوياتها هو تابع أيضا لمُرَكبات هذه العلاقة ، فالعالَم في تشكيلتههو بمثابة تَرَاتُبية من العلاقات= le monde est une hiérarchie de rapports[1].

يسعى العقل البشري–إذن– بواسطة هذه المَلَكة الذهنية المتمثلة في القدرة الترتيب إلى تنظيم{" XEتنظيم" } المُدرَكات الحسية المتمثلة في عالَـــم الأشياء وكذلك تنظيم المُدرَكات الذهنية المتمثلة في عالَم المعاني{" XEالمعاني" }و التصورات ، إذْ يعمل على وضعهما في

شكْل{" XEشكل" } أفواج و مجموعات، فالعقل عندما يتّجه إلى الواقع – حسب كانط – تُواجهه أشتاتٌ كثيرة مُبعثرة لا صورة{" XEصورة" } لها(أي من غير معنى) ، لكنه هو الذي يُنَظمها طبقا لقوانينه الخاصة(أي طبقا لمبادئه ومقولاته ومنها المقولات الكانطية الاثني عشر مثل السببية والحتمية)، وليست المعرفة الإنسانيةأو الوعي إلاّ عملية توحيد و تنظيم تشتركُفيها الحسّاسية (مثل الإحساس بإطاري الزمان{" XEالزمان" }و المكان)، هذا من جهة{" XEجهة" } ، إضافة إلى إشراكالفهمأي الإدراك ، إذ أن المعرفة هي ترجمةٌلهذه المحسوسات و تحديدٌ لها من حلال هذه المفاهيم ،مثل مفاهيم السبب و المسبب، و الجوهر و العرَض و غيرها من المفاهيم ، و التي تـــُمثل أدوات يستخدمها العقل كوسائل للتكيف مع معطيات الواقع، وعلى هذا اعتبر كانط أن قوانين الفكر (أي حدود العقل و المقولات{" XEالمقولات" } المحضة) هي التي تُرتّبالوجود لكي تكون معرفته و إدراكه ممكنة [2]. تعود عمليةالترتيب إلى نشاط الذهن ، و هوعملٌ عقلي يقوم بالأساس على الملكات الذهنية العُليا من إدراك و تخيُل وحتى نشاط الذاكرة بمرافقة الحواس و وظائفها ،عملٌ يقوم على تنظيم الوجود و الحدود معا، فيه ذكاءمناقض لمفهومالفوضى ، المسمى بـــالعَمَى ،أو التشويش*Chaos الذي وَرَدَ في الكتاب المقدَّس، و يعني مُنْطلق الخلْق والكون ، هذا الخلط الذي تَذْكرُه أيضا الأسطورة اليونانية كحالة مختلطة و مُشَوَّشةللمادة قبْل خلْق العالـــَم ، فترتيب الحدود إذن هو " حالة خاصة{" XEخاصة" } من تقسيم{" XEتقسيم" } المفاهيم تُمثل كُلًّا إجماليا معَيَّنا من التقسيمات ، حيث تـــُقسَّم المفاهيم إلى أنواع{" XEأنواع" } و تُقسَّم الأنواع إلى فصائل..و كلّ تصنيف{ XE "تصنيف" } هو نتيجة رسْمٍ تقريبي مُعَيَّن للحدود الحقيقية بين الأنواع لأنه يبقى دائما اصطلاحيا ونسبيا"[3] .

اشتغلت المدرسة الفيثاغورسية – و هي من المؤسسات التعليمية اليونانية القديمة – على عملية تحديد الوجود وِفْق مبادئ عامة أعطته صبغة فلسفية تجريدية شاملة و عملت على صياغته وفق مفاهيم وكلمات وحدود تُوحد و تُسهل التواصل اللغوي و الفكري ، و ما يُلاَحظ عليها– خاصة في مجال دراسات تاريخ المنطق– أن المدرسة الفيثاغورسية عملت على توظيف مفاهيم شرقية خالصة في نظرتها إلى الموجودات وترتيبها ، ومِمّا يُذْكر تاريخيا أن هذه المدرسة تميزت بإدراج الوجود و تصنيفه وفق عشر حدود أو مقولات و هو ما يُطابق التقسيمات الهندية عند مدرسة النيايا Nyâya* حيث عَرَضَتالحدود أو المقولات{" XEالمقولات" } في شكْلٍ زوجيٍ يرتبط بتحديدات محسوبة بأطراف القول المتمثلة أوّلًا في بالجوهر وثانيا في أحواله و أفعاله أي بأعراضه ، مثل المحدود و اللامحدود وهي مقولة فلسفية ميتافيزيقية عامة شاملة ، ثم الزوجيو اللازوجيو الوحدة والكثرة وهي حدود ذات طابع حسابي رياضي كمّي ، ثم اليمين و اليسارو هي تحديدات ترتبط باتجاه المكان ، والمذكر والمؤنثو هي تصنيفات تخص جنس الجواهر، ثم السكون والحركة و هي مفاهيم مقولاتية تخص الفعل واللافعل، والخط المستقيمو المنحني وهي تحديدات تخص طبيعة المكان الهندسية ، ثم تصور النورو الظلام وهي مقولات تخصُّ هيئة المكان و الموجودات وفْق حالات إدراكية فيزيائية مختلفة ، ثم مقولة الخيرو الشر و هي حدود قَـــيْمية أخلاقية ترتبط بتحديدوبأصناف السلوكأو بوضع معايير ترتبط بأحوال الجوهر من الفعل واللافعلو أغراضه النفعية ثم أخيرا تعرض المربع والمستطيل وهي حدود تخص طبيعة المكانالرياضية الهندسية "[4]، وما يُلاَحظ على هذا العرْضللحدودأنه يَـــرِدُ في شَكْل{" XEشكل" } أزواجٍ متضادة، باعتبارها تصورات عُـــليا=أي كليات، يكون فيها الحد

الثاني سالبا للحد الأول، ومنهنا تبلورت فكرة الحدود{" XEالحدود" }و فكرة التضاد و السلب كأحد مؤشرات التأسيس الفيثاغورسي لبعض المفاهيم المنطقية التي يكون لها أثرها الكبير داخل الحقل الثقافي اليوناني، و التي تحولت فيما بعد إلى رصيد في قاموس مفردات الخطابة سواء في عمليةتحديد التصور أوفي مُركَبات القضية أو قواعد القياس ، و أيضا في عمليات تحديد الوجود و ترتيبه.تُضيف الفلسفة الهندية* نسقًا آخر من الحدود و المقولات{" XEالمقولات" } الموجودة عند البادرتاPadartha التي تَعتبر أن هذه المقولات "كيفيات للوجود = Modalités d'être " وأنّ أيّ موجودٍ كان ، لابد أن يدخل في أحد هذه المقولات وهي كالآتي :

1- مقولة الجوهر=dravya، إذ أنحد{" XEدلالة" } الجوهر لا يعني دلالة الحد الميتافيزيقي أوالكُلّي (المُثل) لكن له دلالته أخرى، فهي تعني وظيفة الموضوعsujet{" XEالموضوع" } في داخل القضية أو مُركبات القولية الحكم = le jugement في منطق العباراتالحملية، ثم تليها2 – مقولة المِلْك = guna ، 3– مقولة الحركة = karma،4– مقولة النوع = samanya ،– 5مقولة الفصل النوعيviçesa= ، 6– مقولة الخاصة = samavaya[5].

و ما يُلاحَظ أيضا على هذا النسق المقولاتي الهندي ، أنّه يَعرض مُرَكَّبات المقول في شكْلٍ{" XEشكل" } يَجْمعُ بيْن بعض المقولات{ XE "المقولات" } الأرسطية من جهة{" XEجهة" } ، ويَجْمع من جهة أخرى بين الحدود{" XEالحدود" } العامة باعتبارها كُليات أو أجناس ، و هو قدَرٌ من الاشتراك الصوري الشكلي مع المشروع الأرسطي الذي يؤسس لنظرية الحَـمْـــل= théorie d'attribution من خلال بناء نظام وترتيب{" XEنظام" }القول وترتيب الحدود ، مع إضافة ملاحظة أخرى

تدور حول تسجيل قدر آخر من التقاطع بين المشروعين في دراسة موضوع الوجود أو الكينونة ،و هو مبحث شامل تتحدُ و تتقاطع فيه جميعُ الدراسات الفلسفية ، إذْ يمثل محورا ونقطة تَلاقي بين مجموعة من المعارفو الدراسات المنطقيةو الفلسفية ، التي تُؤسس لمنظومة متكاملة من المفاهيم المستعملة في تحديد ماهية و جواهر الوجودو أيضا أحواله العَرَضية المختلفة ، و لهذا الاعتبار كانت أبحاث أرسطو الفلسفية مُصَوَّبة في البداية نحو هذا المبحث واعتبرته محور اللدراسات العلمية الدقيقة أي "البحث في الوجود بما موجود"أو هو البحث في الحكمة التي تـــُمثل العلم = sciences بالمبادئ الأولى و الأسباب الأولى و هذا ما تصدرته أبحاثُه في كتاب الميتافيزيقا[6]و أيضا في كتاب الفيزياء وكتاب المقولات، لكن غرضأرسطو في البحث في الوجود بمنهجية علمية هو الذي دفعهأيضا نحو البحث في العقل و في القول الذي يحمل أحوال الموجودات ، أي البحث في أطر التفكير و حدوده اللغوية و المنطقية ثم ترتيب الحدود بوصفها حاويا لمجريات الطبيعة و ما يلحقها من أعراض .

كشفت خطاطات هذه اللوحة ومُركبات هذا الرسم للحدودعن محاولة أصيلة وـــتأسيسية هامة في العلم و نظرية المعرفة ، كما عبّرت عن رؤية إدراكية ترتيبية حاولت أن تضع بعض التحديدات للموجودات، سواء كانت هذه الموجودات أساسية مستقلة قائمة بذاتها (أي الجواهر= substances) أو كانت موجودات لاحقة ومضافة (الأَعْراض= Accidents) ،إذ هي تصورات في منطق وفلسفة أرسطو ، تصوراتتَعرض في تركيباتها العامّة نسقا مبنيا على مبدأ{" XEمبدأ" } مُحدَّد و منَظَّم ، إذ تصبو هذه الأنساق التحديدية والمقولاتيةلتحقيق هدف عام يتمثل في

عَرْض أوصاف الوجود و تجلياته الإدراكية الحسية و الذهنية ،لتتظافر فيما بعدها حدود المقول الخطابي(اللغةو تراكيبها) التي تُوظَف في ترتيب الخطاب أيضا من أجل غاية عامة هيضبط أدوات و معاني الاتصال من المغالطات، حيث تميّـــزت بحصر مجموعة من التصورات المستعملة في الغالب كأدوات في التعبيرو الخطابة ،وهي موجهة لغرض شامل يتمثل في مواجهة ودحض الفكر السفسطائي الذي عمل على تشويش هذا الترتيب والتصنيف ،ولاستعمالها الصحيح في مجال العلوم ومناهج التدريس، وهو الالتزام الذي اعتنى به أرسطو عند دخوله الأول في مهامه الأولى في تدريس مادة الجدل في أكاديمية أفلاطون، وما يلاحظ أيضا على هذا التأسيس الأولي للحدود و للمقولات الهندية، هو أنه يَعرض حصْرا وتِعْدادا بسيطا لكنه أكسيوميا(أي تأسيسا أوليا) لأنساق القول وبناء الحد ، بمعنى أنه يضع لبنة تقدمية لهذا المبحث اللغوي و المنطقي والفلسفي عموما والذي سوف يتطور لاحقا في مسار التفكير الهندي واليوناني معًا ،وبذلك كانت البداية الحقيقيةو بشكل واضح في أعمال أفلاطونو نظرته في حدود الوجود ومقولاته ونظرية المُثُل ، ومنها تكونتمنطلقات أخرى– أيضا – التي سينهل منها أرسطو لاحقا في بناءه المنطقي العام المعروف بتسميةالأورغانون ، والذي تتداخل مرجعياته التكوينية والجنينية والثقافية بين تراث الهند الفلسفي الصوفيو الكتابات التأملية الحوارية عند اليونان .

بسطتعملية ترتيب الحدود أرضيةً منطقية و تنظيمية خصبة، امتدت من تصنيف الوجود إلى تصنيف المعارف وتصنيف{" XEتصنيف" } العلوم ، أي أنها تتميز بإمكانية الخروج من دائرة البحث في الوجودو أحواله إلى العمل على تنظيم هذه المعارف ، إذْ يُمثّل التصنيف العلاقة

المتبادلة بين العلوم ومكانها في نسق المعرفة الذي تُعَيِّـــنُه المبادئ المُحدِّدة التي تعكس صفات الموضوعات التي تدرسها العلوم المختلفة والتي تعكس أيضا الصلة بين هذه الموضوعات، وبناء على هذا، اهتم الفلاسفة والعلماءُ عبر العصور بموضوع التصنيف في مجالات مختلفة كتصنيف العلوم و الحيوان والنبات والنظم الاقتصادية والاجتماعية والكتب ، كما وضّح أيضا هيجل في كتابه "جدل الطبيعة"، المبادئ المادية الجدلية لتصنيف العلوم ، ونفسه الأمر سلكه في تصنيف الموجودات بين المعاني{ XE "المعاني" } والمحسوسات في كتابه الفنومونولوجيا .يعتبر يوسف كرم أن أرسطو" أوّل من نَظَر إلى العلْم في مجموعة ووَضَع مبادئ تصنيف تام{ XE "تام" } للعلوم يتمثل في مجموعة كثيرة ، فالعلْم عنده ينقسم إلى نظري وعملي حسب الغاية التي ينتهي إليها ، فالعلوم النظرية غايتها المعرفة ، أي المعرفة لذاتها أما العلوم العملية فغايتها تدبير الأفعال الإنسانية [7] ، وفي سياق تصنيف{" XEتصنيف" } العلوم أيضا، عمل فلاسفة و مفكرون متأخرون على تهذيب هذا الباب ومضامينه مثل تصنيف العلوم عند الفارابي في كتابه " إحصاء العلوم " ونفسه العمل نجده عند ابن سينا و بِيرْس Pearce و أوجست كونت Auguste comte ، و على هذا النحو ، استفاد أرسطو في بسطفكرة الترتيب للحدود و التصنيف الواردة في كتاب الطبيعة أو الفيزياء و في كتاب ما بعد الطبيعة وفي كتاب المقولاتأيضا ،{" XEالمقولات" }إذ هي مشاريع تقعيدية سابقة على فكر أرسطو نفسه ، لها جذورها الممتدة في تاريخ الثقافات القديمة ، فهي موجودة عند المصريين القدامى في تصنيف{" XEتصنيف" } النجوم والكواكب و موجودة في الثقافة الهندية التي رَتَّبتوصنّفت للحوار و جعلت له مستويات و درجات أثناء إجراء الخطابة والنقاشات ، كما أن الثقافة اليونانية نفسها

أسّسَت لنظام الترتيب للحدود،وهي التي مَهّدتبشكل مباشر و فعّال في إنشاء عمليات التصنيف عند أرسطو ، حيث نلمس وجود هذا التصنيف عند أفلاطون في محاورته الجدلية مع فيلاب philèbe و في محاورة " السفسطائي " ، حيثيتم توليد= maïeutique مختلف أجناس القول ومراتبه ، ذلك اذا اعتبرنا أن عملية بسْط الحدود و تحليلها تقوم على مبدأ إدراك علاقة التشابه وفق مبادئ عامة تربط بين الموجوداتو المُدرَكات خاصة منها الحسية ، " ففكرة التصنيف في المنطق{" XEالمنطق" } توزع مجموعة أشياء على عدد مُعَـــيـــّن من المجاميع الجزئية المتناسقةوالمتلاحقةو الهادفة إلى التقريب بين الأشياء الأشدّ شَبَهًا طبيعيا وبذلك الإعداد لاكتشاف القوانين " [8].

عَرضت شبكة الحدود و التصنيفات التي سبقت أرسطو وكذلك الأرسطية وضْعًاللأشياء أو الموجودات وفْـــق نظام {" XEنظام" }، وترتيب{" XEترتيب" } أيضا للمعاني{" XEالحدود" } والكلمات التي هي أداة{" XEأداة" }لوصف طبيعة الموجودات ومختلف أوصافها وأعراضها، و هي أداة إجرائية أيضا مساعدة للتعبيرو لخوض مختلف فنون الحوار والجدل والخطابة . بِناء على هذا المستوى ، يُمكن إدراك نقاط تلاقيو تداخل{" XEتداخل" } بين الفكر المقولاتي للحدود الأرسطية و من سبقه في هذا المجال من ترتيبات في داخل الثقافة الهندية وكذلك الثقافة اليونانية التي مَثّـــلت بيئة وعاملا ذاتيا لحدود أرسطو " خاصّة{" XEخاصة" } منْها التصنيفات الأفلاطونية و عمليات القِسْمة بين الصُوَروالمُـــثـــُل التي كان جذورها من إبداع سقراط "[9] ، إضافة إلى هذا التشابه الشكلي الذي يُلاحظ علىحدودو مقولات أرسطوو على

إنتاج مَن سبَقه من الباحثين ، يُمكن أيضا الانتقال كذلك إلى تشابه{ XE "تشابه" } آخر يكمن في المستوى المادي لنظرية ترتيب الحدود و القول و للمفاهيم التصنيفية ، وأقصد بالمستوى المادي ما تتضمنه نظرية الحدود التصنيفية من محتوىو من مضمون سواء كان ذلك جملة{" XEجملة" } أو تفصيلا ، و كمثال على ذلك نجد مقولة الزمان{" XEالزمان" } التي استقاها طاليس من المصريينوالتي تبلورت كمفهوم فلسفي إغريقي ،ضِفْ إلى ذلك فكرة الجوهر و هي حد مفتاحله استعمالات كثيرة ومتداولة في الثقافات المختلفة ، إذْ نجد لها مفهوما محوريا داخل فلسفة أفلاطون لغرض بناء نسق نظرية "المُـــثـــُل" ، و التي استفاد منها فيما بَعد أرسطو، ثم بعد ذلك انتقدها أرسطو و طوّرها ، و في الأخير أضاف عليهاوأعطاها صبغة مذهبية خاصة به، تتمثل في الجوهرالمُشخّص أو "المُشَار إليه"و هو الجوهر الذي يمتلك ماصدقية extensionalité = مُتعينة حسية و فردية.

لقد بَيّنْنظرية{" XEنظرية" } المعرفة الحديثة وجود مشكلة مركزية تتمثل في التوفيق بين الطبيعة الذاتية{" XEالذاتية" } للفكر وبين دعوانا بأننا نَعْرف ما هو خارج أفكارنا، وتلك لم تكن مُشْكلة بالنسبة لأرسطو، إذْ اعتبر أن العقل إنما يكتشف نظامًا، كان من قبل موجودا في الواقع، حتى جاء كانط فقلَب الوضع الأرسطي وزعم أن النظام في معرفتنا يأتي من العقل وحده [10] ،ولذلك طغت هذه النزعة الحسية على الفكر المنطقي الأرسطي ومنْه مبحث الترتيب للحدود والقول{" XEالمقولات" }و بالخصوص عمليات التصنيف والتحديدات الواردة فيها، كما استفاد أرسطو من القِسْمة الثُنائية{" XEالقسمة الثنائية" } الأفلاطونية و كذلك الجدل الصاعد و الجدل النازل في تصنيف{" XEتصنيف" }

الحدود{" XEالحدود" } ووَضْعِها وفْــق ترتيبات ماصدقيةو التي يمكن ملاحظتها من خلال تقسيمات أرسطو للجوهر(وهو الموضوع{ XE "الموضوع" } داخل الحُكْم{" XEالحكم" }) وهي تقسيمات تترتب وفْق النحو التالي: حدود تمثلالجواهر الأُوَّل وحدود أخرى تمثلالجواهر الثواني ، مع ملاحظة أخرى كذلك ما لأرسطو من تميُّز و اختلاف عن أفلاطون في ترتيب{" XEترتيب" } وجود{" XEوجود" } ومعاني وحدود هذه الجواهر، فالجوهر الأرسطي صاعِدٌ (من المشخصات المفردة إلى المعاني الصورية العامة{" XEالمعاني" }) أما الجوهر الأفلاطوني فهو نازلٌ(من المُثــُل إلى الأشياء).

ينسجممبحث الحدود عند أرسطو مع طبيعة موضوع " اللوجوس "اليوناني المتطور في ذلك الوقت ،لوغوس يتجه نحو العقلانية العلمية والدقة ذلك أن معنى "ميتافيزيقا " في القاموس الأرسطي الخاص لا يعني البحث في الإلهيات أو الغيبيات فقط–كما يعتقد البعض– ، بل إن التشريح اللغويالإيتيمولوجي لكلمةميتافيزيقا = métaphysique يُفضي إلى استخراج مَعْنيين هامين هُما بمثابة الدلالة الحقيقية المتبعة في منهج أرسطو في تناول الوجود و أحواله و لواحقه الفلسفية و المنطقية ومن ثم تحديده وفق حدود لغوية ، إذ نستخرج من هذا التقسيم كلمة méta وتعنى العمق أو البحث في الأسباب العميقة الأولى للموجودات و كلمة physique تعني الأجسام أو الموجودات أو المادة ، أو هي البحث في الوجود من حيث الوجود توصلاً إلى إدراك الجوهر الثابت وراء الأعراض المتغيرة[11]. بناء على هذا التقسيم اللغوي ، كان أرسطو رَجُلَ علْمٍ و كان وضعيًا أيضا وبامتياز و متقدِّما عن النهضة الحديثة و التنويرية في معالجة قضايا الوجود

وأحواله و حدوده، حيث سبقت أبحاثُه المتأخرين من زعماء الوضعية والوضعية المنطقية المعاصرة ، و من هنا كان البحث في الموجودات أو في الكينونة L'être له الأهمية الكبرى كمبحث في الفلسفة عموما و كمبحث في آليات المنطق و الأبحاث اللغوية الخاصة ، حيث عمل أرسطوعلى تشخيصهثم دراسته دراسة علمية ، فالعلم عند أرسطو يتجه نحو الكُليات ، إذ ينتقد أرسطو الفلاسفة الذين يتجهون إلى دراسة العناصر ، فالعناصر تكون حاضرة أو محايثة في داخل الكليات ،إذ لا تعريف ولا علم عند أرسطو إلا بالكليات ، فالعلم هو العلم بالأجناس العليا Genres suprêmes، و الأجناس العليا هُم الوجود= l'tre والواحد = l'Unو حذْفُ هذه الأجناس هو حذفٌ لمجموع الموجودات وحذفٌ لكل الأشياء لأنهما(أي الوجود و الواحد) هُما الأوّل طبيعيا ، ثم إن العلم بهذه الموجودات يمتلك أعلى درجة من المبادئ التي تصبو إليها الفلسفة الأولى أو الحكمة [12] ،مع ملاحظة أن دلالة الكليات المقصودة عند أرسطو هي مجموع الأفراد المحسوسة التي تُشَكّل نسجا عاما داخل الكل وليست الكليات الأفلاطونية التي تعني المُثُل.لقد احتل "الوجود"إذن ، مرتبة هامة في تحديدات أرسطو وهو أحد أهم موضوعات الفلسفة الأولى الأرسطية ، حيث كان مادة خاما لتوليد المفاهيم والمقولات وضبط الحدود والتصورات ، مثل حد الوجود والحركة و الزمان ثم ترتيبها، ففي كتاب" السماع الطبيعي "أو الفيزياء، عمل أرسطو على وصْف الموجودات الطبيعية كما بدت لحدسه الطبيعي ثم اتبع طريقة منهجية من خلال هذا الوصف في وضْع الحدود المناسبة لمنطقه وفلسفته ثم توليد المقولات والتصورات في قالب مفاهيمي يقوم على التدرج ، ولعلّ هذا ما أدركه لايبنتز في انتقال متدرج من الأسلوب الجدلي الابتدائي الذي يأخذ شكْل

الاستقراء ليرتفع إلى أسلوب التحليل في شكْل القياسو البرهان ، هذه الطريقة في بناء المفاهيم على وجْهٍ من التدرج تسمح للفكر أن يُعامل المفهوم في مستويات مختلفة ، من المستوى المادي الانطولوجي إلى المستوى الصوري المفاهيمي[13]، وفي صددالوجود كموضوع وكمبحث لطلب المعارف،يقول الفيلسوف الفرنسي لوي لافيلL.Lavelle:" المعرفة المجردة من كل صلة بالموجود تكون معرفة{" XEمعرفة" } بلا شيء{ XE "شيء" } "[14] ، حيث أن صلة المعرفة بالواقع هي التي تعطي المعرفة دلالتها ، ولعلّ هذا ما عنى به الشاعر الفرنسي فاليري في بيتين من شعره يقول فيهما : "إن المعرفة ليست سوى درجة من درجات الوجود" [15].

وعلى هذا النحو،عمل أرسطو على بسْط نظريته في ترتيب الحدود ونسج أصناف القول و الحمْل Attribution وهي نظرية تمثلأداة في تشريح وترتيب معطيات الإدراك الذي ينتقل من المحسوس إلى المعقول ، أي من المشخص الفرد إلى المعاني و الكليات ، و يُرَتب بين الجوهر والعرَض و بين الموضوع و المحمول ، و هي نظرية موزعة و متداولة عبْر كتب متعددةمن أعماله النسقيةو الفلسفية ،من بينها كتاب المقولات وكتاب الفيزياءو كتاب الميتافيزيقا، التي رتّبت الوجود وفق ترتيبللحدود .

---

* – يقول هيجل عن الحدود و المقولات{" XEالمقولات"} أي عملية التصنيف في مقدمة كتابه المنطق{" XEالمنطق"} الكبير : هل ثمة شيء{" XEشيء"} أكثر شيوعا من تحديدات الفكر التي نستخدمها باستمرار والتي تخرج من شفاهنا من كل حُكم{" XEحكم"} نصدره. أنظر : إمام عبد الفتاح، المنهج الجدلي عند هيجل، المجلد الأول ، مكتبة مدبولي، ، القاهرة ، 1996 ، ص154 .

[1]–HAMELIN, le système du savoir, textes choisis par louis millet, puf, 1956,p.23.

[2]– Alain GRAF et Christine LE BIHAN, Lexique de philosophie, **édition du seuil, Paris, 1996, p39.**

* – وردت مادة{" XEمادة" }عماء = Chaos، وتُشرح بلفظ : الخليط المشوش الوارد في كتاب ديكارت"مقال في الطريقة = Discours de la méthode " فالخليط المشوش هو العَمَاء وهو كل ما ليس مرتبا. أنظرالمعجم الفلسفي، جميل صليبا ، دار الكتاباللبناني، بيروت، 1982، ج2، ص103 ، و أنظر ايضا مادة chaos:

Chaos, dans la théorie de la création du monde établie par les Grecs anciens, gouffre sombre et silencieux ayant préexisté à toute forme de vie..Comment citer cet article :Chaos." Microsoft® Études 2008 [DVD]. Microsoft Corporation, 2007. Microsoft ® Encarta ® 2008. © 1993–2007 Microsoft Corporation. Tous droits réservés.

[3]– الموسوعة الفلسفية السوفييتية ، ترجمة يوسف كرم ، دار الطليعة بيروت ، ط5 ، 1985 ، ص 126 .

*– Ecole Nyâya prenait la sensation comme source première de la connaissance .Dans le sutra n° 1, relatif à la sensation on peut lire « la connaissance irréfutable qui naîtdu contact des organes des sens avec les choses et qui défie toute détermination plus immédiate s'appelle la sensation .»

أنظر كتاب الروسي الأذربيجاني الأصل :

Alexandre Makovelski, Histoire de la logique, traduit du russe par Geneviève Dupond, éditions du progrès U.R.S.S. 1978, p.34.

[4]– ألكسندر ماكوفلسكي، تاريخ علم{" XEعلم" } المنطق{" XEالمنطق" }، ترجمة نديم علاء الدين و إبراهيم فتحي ، دار الفارابي بيروت ، ط1، 1987، ص 52 .

* – يَذْكر هيجل السمعةَ القوية التي كانت للهنود في حقل الثقافة اليونانية ، فلقد عرف اليونان الغنوصية الصوفية الهندية ، و هي ثقافة لطبقة من الناس عند الهنود يتميزون بالورع و يسمون في الهند بالفقراء=Fakirs و يعيشون فرادى أو جماعة في هامش الحياة و في تأمل رافضين كل لذات الحياة الخارجية على شكل وجود تائه و قد شبههم بالمذهب الكلبي عند اليونان أو بالرُهبان في المسيحية و هُم بهذا الحال –عند هيجل– من الفلاسفة . أنظر كتاب:

HEGEL, leçons sur l'histoire de la philosophie, tome 2, traduit de l'allemand par J.GIBELIN, éditions Gallimard, 1954,p .100 et 101.

[5]– François chénique, éléments de logique classique T.1, L'art de penser et de juger, présentation André– brunet, bordas, paris, 1975, P ,29 et 30.

[6] – Aristote, la métaphysique, tome 1, nouvelle édition entièrement refondue, avec commentaire par j. Tricot, librairie philosophique, j. Vrin, paris, 1991, p.1

[7]– يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم بيروت ، ط1 ، 1977، ص53 .

[8]– موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب خليل أحمد خليل ،ج1، منشورات عويدات بيروت – باريس ، ط2 ،2001 ،ص ، ص ، 174، و175.

[9]– محمدمهران رشوان ، المدخل إلى المنطق{" XEالمنطق"} الصوري ، دار قباء ، القاهرة ، ط2 ، 1998 ، ص61.

[10] – الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الانجليزية فؤاد كامل ، عبد الرشيد الصادق ، جلال العشري ، مراجعة زكي نجيب محمود ، دار القلم ، بيروت ، دون سنة و دون طبعة ، ص138

[11] – عبدو الحلو، معجم المصطلحات الفلسفية، المركز التربوي للبحوث والإنماء ، الطبعة الأولى، 1994، ص 104.

[12] – **Aristote, la métaphysique, tome II, nouvelle édition entièrement refondue, avec commentaire par j. Tricot, librairie philosophique, j. Vrin, paris, 1991, p. 579 et 583.**

[13] – أرسطو ، الفيزياء ، أو السماع الطبيعي ، ترجمة عن الانكليزية عبد القادر قينيني ،أفريقيا الشرق،المغرب ، **1998**، ص، **9** .

[14]– دراسات في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مجلة علمية نصف سنوية، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد **06**، السنة **2004–2005**، ص**99**.

15– المرجع نفسه ، ص **99** .